قاسية ومتطلبة وثائرة

عميقة في أبحاثها وثقافتها، ثائرة في دفاعها عن التراث الفني العربي، أستاذة في الغناء وعلم الصوت ونجمة في دماثة خلقها. لذا بات اسم **غادة شبير** مرادفاً للفن الملتزم والمحترم بعدما شكل الأخير محور حياتها وجعلها تشعر بسعادة لا تضاهى.

الزواج مؤسسة كبيرة وعظيمة وما من مشروع لدي من هذا القبيل في الوقت الحالي

في رحاب جامعة الروح القدس اخترقنا جلسة دروس خصوصية جمعت غادة وإحدى طالباتها وعرجنا خلالها على خبرتها الواسعة في عالم الغناء والتعليم وبعض تفاصيل حياتها الخاصة التي تحدثت عنها للمرة الأولى.

أنت صاحبة مشروع غنائيّ موسيقيّ شامل. هل لك أن تطلعينا على أبعاد هذا المشروع؟

هذا المشروع بدأته منذ نحو عشر سنوات ولم أكن أدرك عطش الناس إلى الغناء الأصيل المُتقَن كما لم أكن أعلم أنّني أمام مشروع سيتكلّل بنجاحات وجوائز عالميّة، مع الإشارة إلى أنّه يقوم على نشر التراث وحفظه، أيّ نشر أنماط من الغناء المتقن، الديني والدّنيوي فضلاً عن إطلاع الناس على كنوز الغناء العربي المطمورة وعلى خصائص هذا النمط من الغناء لحفظه من الاندثار والنّسيان.

نجحت في الجمع بين الأغنية التراثية (الموال والموشح) وبين الإنشاد الديني الذي يعود بجذوره إلى الثقافة السريانية. كيف حصل ذلك؟ وهل كان من شأن انصرافك إلى الإنشاد

أن يؤثر على أدائك للأغنيات؟

نعم هذا صحيح، لقد جمعتُ في أدائي الخاص بين الإنشاد الديني والغناء الدنيوي وهذا مرده تعمّقي في دراسة اللّغتين العربية والسريانية ودراسة المقامات والأنغام العربية منها والسريانية. كما أنّني أجريت الكثير من الأبحاث إلى أن توصّلت إلى تقنيّة أدخلت من خلالها خصائص الترتيل السرياني إلى الغناء الشرقي. وهذا التأثّر بالألحان السريانية والتعمّق فيها جعلني أكثر قدرة على أداء أكثر الجمل العربيّة صعوبة.

تسعين إلى تحقيق نهضة جديدة على صعيد التراث تهدف إلى إحيائه وعصرنته ليبلغ آذان ونفوس أبناء الجيل الجديد. هل تعتقدين أنّ هذا الجيل ما زال مهتماً بهذا النوع من الأغنيات؟

أن نحفظ التراث لا يعني أن نغنيه فحسب، بل يجب الاستفادة منه أيضاً، أيّ أن نحفظه ثمّ ننساه لننسج على منواله. هذا ما فعله عمالقة الفن اللّبناني والمصري مثل عاصي الرحباني ومحمد عبد الوهاب وسيّد درويش وغيرهم. قد يبدو أنّ الجيل الجديد غير مهتم بالتّراث، لكن هذا غير صحيح. فهذا الجيل مظلوم في ما يتعلق بالحكم عليه لأنه يعشق التراث. فليترك له الإعلام منفذاً ليختار ما يحبّ بدلاً من أن يختار عنهم.

أعطيت دروساً خصوصيّة لعدد من أبرز النجوم في العالم العربي. هل لك أن تطلعينا على بعض الأسماء وهل تجدين صعوبة في التعامل معهم؟

نعم هذا صحيح، لكّنني لا أعتمد على شهرة الفنانين لأحتل مكانة مهمة في عالم الفن. فأنا أمدّ دائماً يد العون لكل مَن يطلب مساعدتي. ربّما لا يرغب الفنانون في أن أبوح بأسمائهم خصوصاً أنّ بعضهم يتمتعون بشهرة واسعة، ليس في البلدان العربية فحسب بل في أوروبا أيضاً. أما العلاقة معهم فيسودها الترقّب من قِبَلهم في البداية إذ يرغبون في معرفة ما إذا كانوا سيختبرون لعبة الأستاذ والتلميذ وهذا أمرٌ طبيعي. لكنّ شخصيّتي تتسم بالبساطة والمرح وحبّ العطاء، فلا يشعرون بأنّهم مكبّلون بل تمرّ الساعة تلو الساعة ونحن نتحدّث عن علم الصوت والتقنيّة التي يجب اتّباعها فيشعرون بالاطمئنان ويتابعون الدرس.

أيّ من الأصوات الحاضرة على الساحة الفنية تلفت انتباهك وتشجعك على مشاركتها أغنية «دويتو»؟

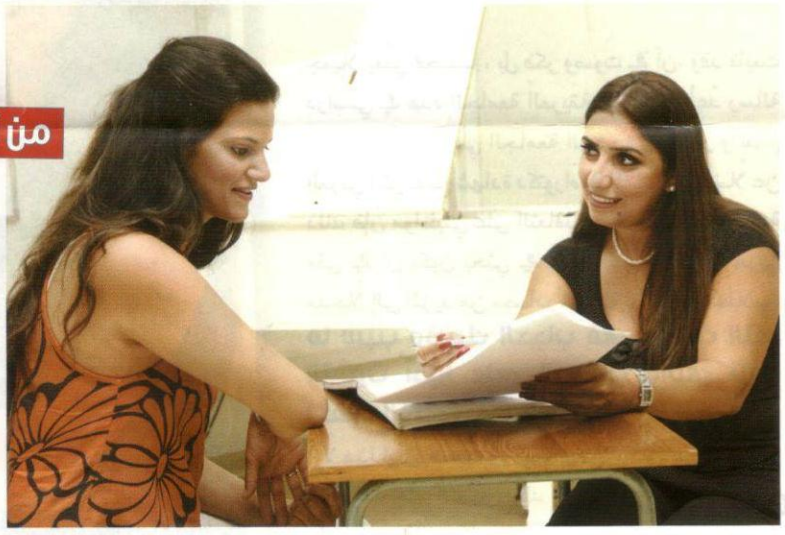

من أجل التراث

هناك مخطط كبير لمحاربة التراث العربي والأعمال العربية والموسيقى العربية بأشكالها وأنماطها كافة. من هذا المنطلق قرّرَت جامعة الروح القدس مثلاً تنظيم مؤتمر موسيقى علمي سنويًا لحثّ الشباب على الاهتمام بتراثهم وألا يخجلوا بموسيقاهم.

منحت الجائزة الأولى في مصر والجائزة العالميّة للموسيقى في كلّ من الشرق الأوسط وشمال أفريقيا عن ألبوم «الموشحات» والجائزة الكونية لأهم أداء عالمي وحاز ألبومك الثاني «قوالب» شهادة جدارة. ما الذي أضافته إلى مسيرتك هذه الجوائز؟

تعتبر الجوائز هديّة من اللّجان ومن العالم ومكافأة لعمل ما يجدون فيه البراعة والفن والعلم وأنا أرى فيها تشجيعاً لي للمضي قدماً على الطريق التي اخترتها وهذا يساعدني ويشجعني على المزيد من الإبداع والعطاء وعلى أن أثمر أكثر فأكثر للوصول إلى مبتغاي في ما يتعلق بالتسجيلات والحفلات.

الفنانون كُثر والحمد للّه، ثمّة أصوات وخامات رائعة، لكنّ الثقافة شبه معدومة... فقلة منهم تعرف كيفيّة التحكّم بصوتها وبالإيقاعات والنغمات على اختلاف أشكالها وألوانها. أمّا الأصوات التي تشدني فهي أصوات ذكرى وأصالة وأسماء المنوّر وصابر الرباعي وحسين الجسمي ومحمد عبده.

كيف تصفين علاقتك بالطلاب في جامعة الروح القدس في الكسليك؟

طلاّبي ليسوا أطفالاً بل طلاّب جامعات وقد اختاروا بإرادتهم هذا التخصّص. لذا فالتعامل معهم جيّد وسهل خصوصاً أنّهم يثابرون من أجل تحقيق ما يطمحون إليه.

هل تتوقف علاقتكم عند حدود الأستاذ وتلميذه أم تتعدى ذلك إلى الصداقة؟

بعض أصدقائي أصبحوا فيما بعد طلاّباً في صفوفي.

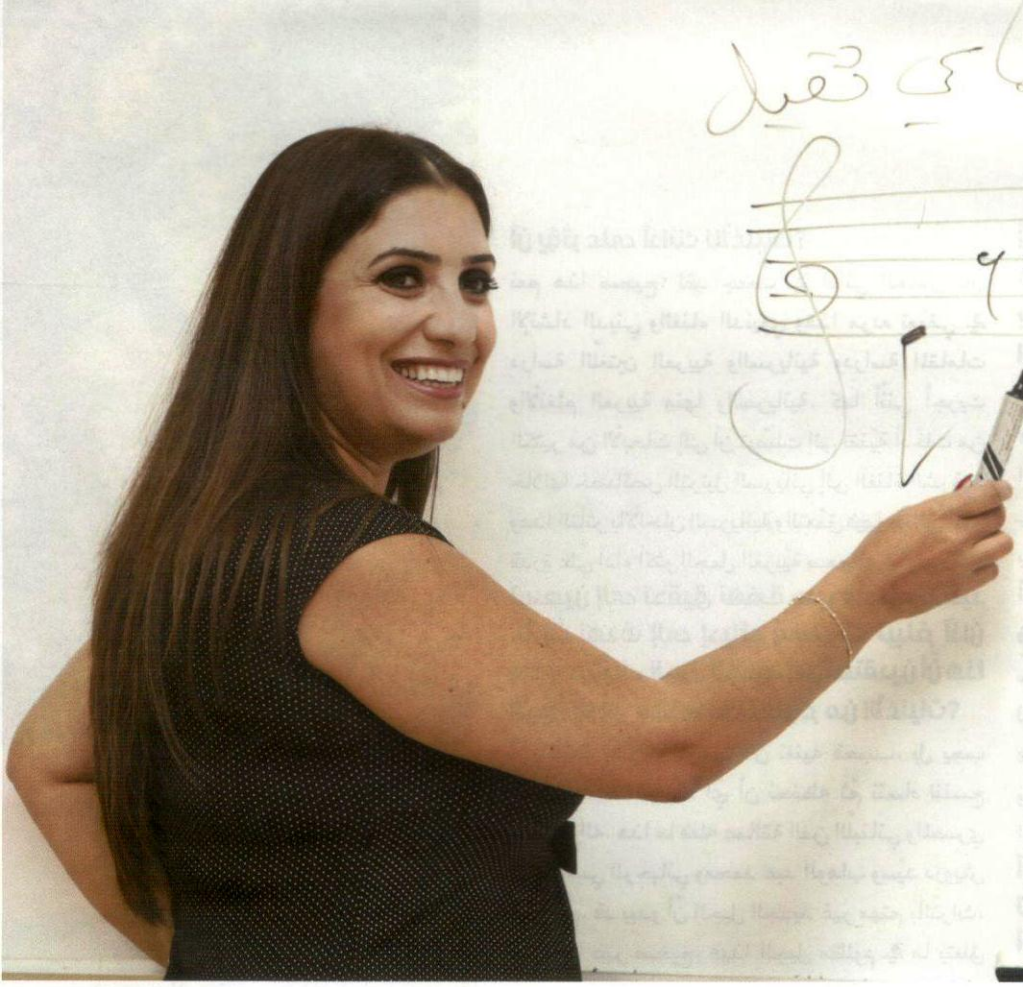

عن فيروز

السّيدة فيروز حالة خاصّة لن تتكرّر، فهي ليست صوتاً جميلاً فحسب، بل صوتاً عميقاً، ثائراً، ليّناً، غنيّاً بالنّغم وقد تعلّمت منها الهدوء في تناول الجملة اللّحنية والغناء من دون تكلّف. فهي تغنّي السهل الممتنع، أيّ أنّها تغني وكأنّها لا تغنّي فيخيّل لبعضهم أنّ غناءها سهل، علماً أنّه صعبٌ جدّاً. هي الملكة دائماً وأبداً وبرأيي في صوت فيروز فرقة من الكمنجات وآلات تشيلو تلعب معاً.

لكنّ هذا لا يؤثر، لا سلباً ولا إيجاباً، على علاقتي بهم في الصف. فأنا في مجال العلم إنسانة أخرى، قاسية ومتطلّبة وثائرة. وإذا حاول أحدهم استغلال صداقتي ليتخاذل أواجهه وأنذره.

أنتِ تواصلين التعليم على الرغم من أنّ لديك أعمالاً وحفلات خاصّة، كيف تفسّرين ذلك؟

استمرار عملي في جامعة الروح القدس-الكسليك يستند إلى قرار اتّخذته منذ سنوات قليلة، عندما عزمت على التفرّغ للتدريس الجامعيّ، والسبب أنّني لستُ صوتاً جميلاً يغنّي فحسب ، بل فكر وصوت في آن. وقد تابعت دراستي في هذه الجامعة العريقة وأنا اليوم أعدّ رسالة الدكتوراه فيها، وهي الجامعة الوحيدة في لبنان والعالم العربي التي تمنح شهادة دكتوراه في الموسيقى. فضلاً عن ذلك فإنّ مواظبتي على التعاقد مع الجامعة يأتي رغبة مني في أن يكون بحثي في مجال تقنيّة الغناء العربي مدخلاً إلى المزيد من مصادر المعرفة يلجأ إليه الطلاب.

ما سبب وضعك الحجاب في صورتك التي انتشرت أخيراً على الطرقات والتي تروج لحفلك الفني؟

أوّلاً هذا ليس حجاباً بل ربطة رأس، شال إذا جاز التعبير. وقد وضعته على رأسي لأنّني كنتُ أريد تجسيد الموشّح، ليس في الصوت فحسب بل في الشّكل أيضاً. وقد وقفت على المسرح لسنين طويلة وأنا أضع على رأسي شالاً أرجوانيّاً وأتبرّج وأضع الحلي لأعبّر عن أجواء الموشحات التي تعني الزركشة والألوان والجمال.

> «أضع على رأسي شالاً أرجوانياً وأتبرج لأعبر عن أجواء الموشحات»

إلى أيّ مدى سرقك الفن والتعليم والبحث بين ثنايا الموسيقى من حياتك الخاصة؟

لقد كنتُ مولعة بالفن وبالعلم وما زلت. أضحّي بساعات طويلة من حياتي لأصل إلى إثبات أو نفي فكرة ما أو إلى لحن قديم أو إلى تحليل موضوع فنّي علمي. فأنا أحبّ ما أقوم به ولم يرغمني أحد على البحث وأعتقد أنّ لكلٍّ منّا دربا يجب أن يسلكها ليصل الى نهايتها. ربّما طريقي الفعلية هي تلك التي اخترتها وأنا سعيدة للسير عليها.

هل تشعرين بالندم لإيلائك الفنّ اهتماماً على حساب حياتك الخاصّة؟

أنا لا أبخل على نفسي بساعات من الفرح والراحة في كنف عائلتي التي أحب. لكن في ما يتعلق بحياتي الخاصّة أرى أنّ الأمر «نصيب». ربّما ألتقي الإنسان الذي يجذبني ويشجعني على السّير قدماً في هذا المضمار، وفي هذه الحال لن أتراجع طبعاً.

تفكرين بالزواج في المدى القريب؟ وما الذي تعنيه بالنسبة إليك مؤسسة الزواج؟

الزواج مؤسّسة كبيرة وعظيمة وتتطلب من طرفيها التضحية من أجل تكوين عائلة جديدة بشكل صحيح. لكن حالياً ما من مشروع زواج قريب لديّ.

هل من هوايات تمارسينها في أوقات فراغك؟

هواياتي هي المطالعة والاستماع إلى الموسيقى فضلاً عن شراء الحلى والمجوهرات.

هل تزورين المتاحف الموسيقيّة في العواصم الأوروبية. وما الذي يلفتك فيها؟

طبعاً أزور المتاحف الموسيقية في بلدان أوروبا كاليونان وإيطاليا وفرنسا وخصوصاً المتاحف التي تضم الآلات القديمة حيث أقف حائرة أمام قدرة الإنسان على الابتكار والخلق. وأكثر ما لفت انتباهي في تلك المتاحف الصفوف الطويلة التي يشكلها الناس لساعات طويلة في انتظار تمكنهم من الدخول إليها والاستمتاع بمشاهدة محتوياتها. ■

وليد فريجي